الفتى... والوحش

. فهد أبو خضرة .

شامخًا في الساحةِ الكبرى، أمامَ
النهرِ،
عشرين ذراعًا، مرمرًا أبيض،
في يمناه سيفٌ،
وعلى يسراه رأسٌ بَشَريٌّ.
حَدَّثَ الراوون قالوا:
إنّ هذا رأسُ سَفّاحٍ أثيمْ
جارَ في الأرضِ، ولم يُبْقِ طريقًا للفسادْ
لَم يَسِرْ فيه،
تمادى وتجبَّرْ،
وروى من كلِّ ما حَرَّمَهُ اللهُ فؤادًا
حَجَرِيًا.

أرسلَ القومُ له من سادة القوم رسولا،
فسقاهُ المُرَّ والإذلالَ حتّى مات قهرا.
أرسَلوا من خيرةِ الأبناءِ
وفدًا بعد وفدٍ،
فرماهم بسهامِ الغدر والغلّ
وألقاهم طعامًا للضواري.

فتداعى القوم للواجب، شيبًا وشبابا.
ملأوا الساحات، جالوا
في الميادينِ، تحدَّوا
جيشَه الغاضبَ أيّاما طوالا.
(لَم يَحِدْ عن جوره يومًا ولم يتركْ
فسادَهْ.)

وتوالت فيهم الأعوامُ سوداءَ حزينَهْ.
أُزهقتْ فيها ابتساماتٌ وشُلَّتْ
أُغنياتُ.

فتداعى القومُ للواجب،
شيبًا وشبابا.

وإذا في الساحةِ الكبرى فتًى يَخْطر
مثلَ الرمحِ، في عينيه نار.
(مَن تُرى هذا الفتى الثائر؟ ترعاه
السماءُ!)
قال: يا قومُ أنا أكفيكُمُ السَّفّاحَ!
قالوا: حقّقَ اللهُ أمانينا وصانَ الثائرينْ.
ـ انطَلِقْ!
وانطلقتْ خُطواتُهُ كالرّيحِ نحوَ القصرِ
في عزِّ الظّهيرَهْ.
كيفَ...؟ لا يدرونَ، لكنّ الفتى
عادَ قبلَ العصرِ،
في يمناهُ سيفٌ،
وعلى يسراه رأسٌ بشريٌّ.

هَلَّلَ القومُ، وطاروا
يغمرونَ الأفْقَ أعراسًا ورايات انتصارِ،
والفتى (لم يعرفوا حتّى اسمَه)
.. أين الفتى؟
غابت معَ الريح خُطاهُ.
أين...؟ لا يدرونَ. لكنّ الفتى
صار من أيّامها نُورًا إلهيًّا
وصوتًا نَبَويًّا،
يَحْملونَ الزهرَ والشمعَ إليه كلَّ يومٍ،
وإذا ما سُئلوا قالوا: سيأتي
كلّما حَلَّ بهذي الأرضِ جورٌ أو فسادُ.
حدَّثَ الراوونَ قالوا:

وأقامَ القومُ تمثالاً له في الساحة الكبرى،
أمام النهرِ، عشرينَ ذراعاً، مَرْمَراً أبيضَ،
في يمناهُ سيفٌ،
وعلى يسراهُ رأسٌ بشريُّ.

ورآهُ القومُ في بعضِ الليالي
يَرْفعُ اليسرى إلى الأعلى ويُلقي
ذلك الرأسَ على الأرضِ مُهانا،
ورأوه يتركُ الساحةَ ساعاتٍ
وفي الفجرِ يعودُ،
وإذا ما أُزهِقَ العدلُ
أو اهتزّتْ حدودُهْ
رَفَعَ اليمنى،
وهزَّ السيفَ هزّاتٍ عنيفهْ
ودوَى في الأفْقِ صوتٌ نَبَوِيٌّ
يملأُ الأرضَ خشوعاً وأمانا.
ويظلُّ القومُ يروون ويروون الحكايا
ويقولون إذا ما سُئلوا: حتماً سيأتي.

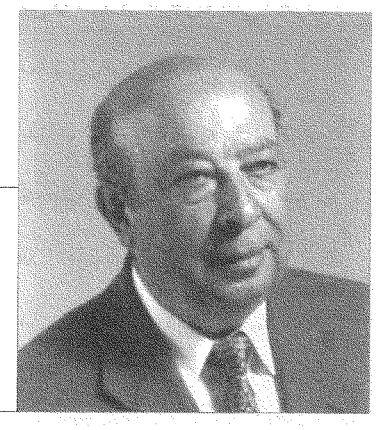

د. فهد أبو خضرة (الرينة ـ ١٩٣٩):

شاعر وباحث ومحاضر في جامعة حيفا. وهو رئيس قسم اللغة العربية في الكلية العربية الأكاديمية، ويرئس كذلك عددًا من اللجان لإعداد مناهج اللغة العربية. له ما يناهز الخمسة عشر مؤلَّفًا في ألوان أدبية متنوعة. وهو رئيس تحرير مجلة **مواقف** التي تَصدر في الناصرة.